تطلع رجال الدين وحكام الاقاليم للعرش في مصر حتى نهاية الاسرة السادسة 3200ـ 2280 ق.م

م.د.خمائل شاكر ابو خضير

Received: 20/9/2021 Accepted: 1/11/2021 Published: 2021

تطلع رجال الدِين وحكام الأقاليم للعرش في مصر حتى نهاية الأسرة السادسة 3200 – 2280 ق . م

م.د.خمائل شاكر ابو خضير
الجامعة المستنصرية /كلية التربية الاساسية – قسم التاريخ
Kh_dream2011@hotmaile.com
07717591956

مستخلص البحث:
مرَّ النظام السياسي في مصر ؛ الذي قارب الـ (3000 عام) مراحل سياسية صعبة تفاوتت بين سطوة الدولة المركزية ؛ التي كانت هي السمة البارزة في حُكم الملوك منذ الأسرة الأولى حتى الأسرة الرابعة؛ لكّن ذلك لم يستمر طويلاً ؛ إذ شهد نظامه السياسي تغيّرات تاريخية صعبة منذ نهاية الأسرة الرابعة ؛ وانعكس ذلك على نظام الحُكم السياسي ؛ فضاعت دولتهم المركزية بعد ان علَت شوكة كهنة وحُكام الأقاليم هذا البحث يمثّل اقتفاءً لأثر الظروف السياسية التي ساهمت في تقويض هذا النظام ؛ تحدثنا فيه عن العوامل والبواعث التي ساهمت في تضلّع رجال الدين وصراعهم مع حُكام الأقاليم لتسلّم مقاليد الأمور السياسية في البلاد.

الكلمات المفتاحية : مصر القديمة ؛ الكهنة ؛ حكام الاقاليم ؛ رجال الدِين .

المُقدِمة:

حكمت الموروث الفكري المصري القديم ؛ الجزء السياسي منه على وجه الخصوص ؛ وحدّدت طبيعته عوامل متعددة ومتنوعة ؛ فإذا وقفنا أمام أبرز هذه العوامل الطبيعية نجد إنّ مصر خضعت على الدوام لتأثير المكونات الأساسية الثلاث ممثلّة ؛ بالنهر والبحر والصحراء ؛ التي كان لها أثر ملحوظ في حياة المصريين السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب نجاح هذه العوامل الطبيعية في تهيئة الظروف المناسبة لخلق الوحدة السياسية المركزية فيها[1].والعامل الثاني الذي أثرّ في طبقة نظام حكم الدولة المصرية القديمة ؛ الذي تمثلّ في تركز السلطة في يد الملك الإله[2]؛ ومركزيتها المطلقة بما يستجيب لاحتياجات اقتصاد الدولة الزراعي والسيطرة على الري النهري . فالحاجة إلى إدامة مصادر الاقتصاد (ريا وأراضي) وتنظيمهما وتوزيع المياه ؛ دفعت سُكان مصر القدامى إلى تبني أساليب تنظيمية ساهمت بدور أساسي في ظهور سلطة عُليا تتحكّم في كل شيء وتهيمن على كلّ شيء ؛ وفلسفة نظام الحكم هذه تعود الى سبب واحد ليكون ذا سلطة مركزية فردية مطلقة مقدسّة فأصبح المبدأ السياسي[3] ؛ إنّ مصر يملكها ويحكمها (الملك – إله) يضمن لها الخير والأمن والرخاء؛ لأن معرفته كامنة وسلطته مقدسّة مطلقة ؛ هذه المُرتكزات هي التي مكّنت الأسرة الأولى ؛ وتحديداً الملك (مينا / نعرمر) ؛ فانخفضت الوحدة السياسية بين مملكتين ؛ الوجه البحري والقِبلي ؛ ونجح في تأسيس حكومة ثابتة وقويّة [4].ويبدو ان ملوك الأسرة الثانية (2770 – 2649 ق . م) رغم محاولاتهم الملحّة في الحفاظ على وحدة وادي النيل كي تنجح خطط ملوك الأسرة الأولى التي وضعوها لتثبيتها والتمكين لها ؛ الا ان الوهن قد اصاب السلطة في عهد ملوك الأسرة الثانية ؛ فتفككت عراها ونشبت الصراعات والفِتن السياسية في مصر العُليا والسُفلى فلجأ بعض ملوك هذه الأسرة

الى استخدام القوّة ضد خصومهم[5]. وعلى ما يبدو ان أسباب هذه النزاعات دينية بحتة ؛ وذلك بسبب لجوء أحد ملوك الأسرة الثانية ؛ وهو الملك (سخم ايب) بتغيير عبادة دولته من الإله (حورس الصقر) إلى الإله (ست)[6]. كما أستُبدل رسم الصقر الذي كان يعلو قصر الملك بالحيوان الذي يرمز للإله (ست) ؛ وكان ذلك يُعد خروجاً عن التقاليد الدينية الموروثة[7]. وهذا الصراع يؤكد فرضيته صعود نجم كهنة حورس في التحريض على ملوك مصر . ويُعد بداية تاريخية لتصاعد دورهما ليس الديني بل السياسي في شكل نظام الحكم المصري القديم[8] ؛ وما ان جاء حكم الأسرة الثالثة (2780 – 2680 ق . م) ؛ حتى تمكّن الملك (زوسر) ؛ الذي عُدَّ من أعظم ملوك هذه الأسرة ؛ ومن فرض سلطته السياسية المُطلقة والسعي لتوسيع حدود مملكته فسيطر سيطرة تامّة للمرة الثالثة على منطقة سينا واستغل مناجم النحاس الموجودة فيها وأرسل الجيوش الى بلاد النوبة ؛ ووسّع حدود مملكته جنوباً حتى وصلت الى الشلال الأول[9].

وإذا كان لعامل الاستقرار الامني والسياسي أثره الكبير في إستتباب الأمور في عهد مؤسس الأسرة الثالثة ؛ فإننا لابدّ ان نذكر هنا ؛ إنّ عهد الأسرة الثالثة وملوكها الأقوياء قد شهد فرض سلطة الملك على كهنة (حورس) والحدّ من النزاع الديني والتوجه الى الاستعانة بموظفين أكفاء ؛ الذي يُعّد مؤشراً لظهور العناصر المدنية في الدولة . إذ استعان الملك (زوسر) بوزير يدعى (امنحوتب) ؛ وقد كان هذا الوزير مشهوراً بسعة إطلاعه ؛ وشدّة ذكائه وحُسن آرائه ومقدرته على حُسن تصريف الأمور[10]؛ وقد كان لإستوزار هذا الوزير ؛ ولتكليف الملك (زوسر) بحدسه السياسي الرفيع ؛ أي تكليف الوزير (آمنحوتب) بمهمّة رئيس الكهنة. إذ جمع هذا الوزير بين (مسؤوليته الدينية ومسؤوليته التنفيذية) وهي لحظة تاريخية مهمة ؛ إذ تمكّن هذا الوزير من الجمع بين السلطتين الدينية والتنفيذية . فكان هذا الوزير جامعاً لشتى الكفاءات ؛ هذا الإستقرار كان قد انعكس على أداء الأسرة الثالثة [11] . وقد استمرت مصر تعيش حالة من الإستقرار السياسي والإقتصادي والإجتماعي بعد مجيء الأسرة الرابعة (2680 – 2560 ق . م) بعد أن تمكّن ملوك هذه الأسرة (سنفرو – خوفو – خفرع – منكاورع) (منكاورع)[12]؛ من الحكم ؛ وتمّ توجيه الملك حملات عسكرية الى ليبيا ؛ وأسر آلاف الليبيين وجلب أعدادا كبيرة من الماشية[13].

واستمر (خوفو) بتنفيذ سياسة أبيه في تجارته الخارجية مع الساحل السوري ؛ خاصة مع مدينة جبيل ... ويذكر المؤرخون ؛ إنّ (خوفو) كان يختلف في سياسته عن سياسة أبيه ؛ إذ يرى المؤرخون إنّه كان قاسياً ظالِماً غير محبوب[14].وحكم بعد الملك (خوفو) أبنه الملك (جدف رع) ثمّ تولّى الحكم إبنه الملك (خفرع / خافرع) ؛ الذي كان قد أقتدى بأبيه في ظلمه وقسوته[15] ؛ حيث شهدت البلاد نهضة شاملة خلال الاسرة الرابعة على صعيد المعمار الفني (الأهرامات) معابد وقصورا وغيرها من البناء الجنائزي .

لكن يبدو ان الإنجازات المعمارية الضخمة التي قام بها كل مَن (سنفرو ؛ خوفو ؛ خفرع) قد أثقلت كاهل البلاد ؛ فتدهورت الأحوال الإقتصادية ؛ ولم تتم أيّ محاولة تالية لبناء أهرامات مُماثلة في الحجم ويكفي ان نشير الى ان هرم (منكاورع) ثالث اهرامات الجيزة كان صغيراً جداً بالمقارنة بسابقاتها[16].

لقد استمرت سلطة الدولة السياسية المطلقة (للإله الملك) وإن شابها نوع من التباين في الأداء السياسي؛ الذي امتاز نوعاً ما بالقسوة بغية السيطرة على مقاليد الأمور ؛ وظلّ رجال الدين في عهد هذه الأسرة مخلصين لملوكهم الآلهة[17].والغريب إنّ قوّة الدولة المتمثلة في سطوة ومركزية حكم ملوك هذه الأسرة قد عكّر صفوها النزاع العائلي الذي بدأ أواخر عهد الأسرة الرابعة ؛ والذي شهد تنافساً بـــين أولاد (خوفو) ؛ والذين كانوا قد تنافسوا فيما بينهم بسبب تنافس أمهاتهم . واتسعت هذه المُنافسات بعد موت خفرع وحكم اثنين من أخوته لمدّة قصيرة ؛ ثمّ تولّى الحكم أبنه منكارع[18]؛ والمُلاحظ إنّ حكم ملوك الأسرة الرابعة ؛ التي بلغت حوالي (160) سنة قد تميزّت بانها كانت من أزهى عصور الحكم في مصر. إلّا أنّ

سلطة ملوكها الأربعة الأوائل بدأت تضعف أواخر حكم هذه الأسرة بعد أن قام كهنة الاله (رع) ؛ الذين كان لهم نفوذ قوي بمدينة (هيلوبوليس) (عين شمس) يحاولون التدخّل في امور الحُكم [19]. يُعّد هذا الأمر بداية لتدخل رجال الدين وتصاعد دورهم السياسي كما سنلاحظ في الأسرة الخامسة .

المبحث الأوّل
اثر كهنة مصر في الأسرة الخامسة

الأسرة الخامسة (2560 – 2420 ق . م)

استطاع كبير الكهنة ؛ الذي كان يُدعى (أوسر كاف2465-2458) أن يغتصب العرش ويستولي على المُلك فيؤسس أسرة جديدة ؛ هي الأسرة الخامسة ؛ ويذكر بعض المؤرخين انه تزوج من الملكة ((خنتكاوس)) أخت ((شبيسكاف))من الاسرة الرابعة ؛ فأصبح حكمه شرعياً ؛ وإنّها ولدت له ولدين حَكَما من بعده وهما ((ساحور رع)) و ((نفر إير كارع)) . إتبّع كهنة الاله ((رع)) من ملوك هذه الأسرة أسلوباً جديداً في الحُكم ؛ فقد شهدت مظاهر العقيدة الدينية لعبادة (الإله رع) تطغى على ما سواها من أمور سياسية ؛ وقد تابع ملوك الأسرة الخامسة خطة أسلافهم في العناية ببناء الاهرامات ولكن بشكل اقل فكانت اهراماتهم عبارة عن شواهد [20] . أمّا من حيث الإدارة فقد سلّم ملوك الأسرة الخامسة الوظائف الكبرى لأبناء الأسر الكبيرة في المملكة؛ بعد ان كانت هذه الوظائف مُخصّصة لأبناء البيت المالك أو الكهنة ؛ وقد أدّى انشغال الملوك بالأمور الدينية إلى قيام بعض كبار الموظفين بالاستئثار بالثروة والنفوذ والسلطة في الاقاليم ؛ خاصة بالوظائف الهامّة الكبيرة ؛ وجعلوها وراثية في أسرهم ؛ كأسرة (بتاح حبت)[21]. حيث تقلّد بعض أفرادها الوزارة والقضاء مدة طويلة من الزمن ؛ وظلّوا موالين للحكم وللملوك الذين وثقوا بهم ؛ وقد سعى كبار الموظفين بادئ الأمر بالمحافظة على نظام الحكم وثروة البلاد والسير بهما نحو التقدّم والرُقي وبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تنفيذ المشروعات التي تدر على مصر الخير والسعادة ؛ ممّا كان له أثره في ازدهار الحكم وتوطيد أركانه[22] . لقد تولّى الحكم بعد (اوسر كاف) أبنه ((ساحور رع)) الذي بنى معبداً ضخماً في أبو صير ؛ وزيّنهُ باعمدة من الغرانيت ذات التيجان المعمولة من حُزم النخل . وخلّفهُ في الحكم أخوه ((نفر مارع)) فازدادت قوّة الكهنة وسيطرتهم في عهده ؛ وأصبح جميع كبار الموظفين منهم وتضاءلت سلطة الملك ؛ وكان من أهم ملوك هذه الأسرة (ست ايب تاوى(ني اوسر رع)) ؛ الذي حكم 32 سنة ؛ وبنى هرماً في ((أبو صير)) ومعبداً للإله ((رع)) ، وكان ثامن ملوك هذه الأسرة ((جد كارع)) ((آسيسى)) الذي أشرف على تربية الحكيم ((بتاح حوتب)) وترك له حكمه ونصائحه ؛ دام حكمه 28 سنة ؛ قام بعدّة حملات للمحافظة على الحدود وإستغلال المناجم من سيناء وجبال البحر الأحمر وبلاد النوبة[23].

لابدّ أن نذكر ان تناقضاً حادّاً حدث في العقيدة الدينية إبان حُكم الأسرة الخامسة ؛ فكِبار القوم وأغنياءهم كانوا يفضلون عبادة الإله (رع) (إله الشمس) ؛ أمّا الفقراء من أبناء الشعب فكانوا يتجهون إلى عقيدة ((أوزيريس)) ؛ الذي كان يمثّل الإله العادل العطوف على الناس واعمالهم بأموالهم أو قرابينهم ، وهكذا تطورّت العقيدة الدينية ؛ لكنها ظلّت مع ذلك مُرتبطة بإله الشمس ((رع)) إذ ربط الكهنة بينه وبين ((أوزيريس)) وأبنه ((حورس)) ليجعلوا من مجموع عبادة الآلهة الثلاثة عبادة عامة شعبية بالنسبة لجميع السُكان [24]. الا إنّ حكم الأسرة الخامسة أصابه الضعف لان الملوك كانوا يصرفون جلّ اهتمامهم الى الأمور الدينية فاغتنم حُكام الأقاليم فرصة إهمال الملوك للشؤون السياسية ؛ فاستبدوا وسيطروا في مناطقهم ؛ وجعلوا الولايات وراثية في أسرهم يتولاها أبناؤهم من بعدهم[25].

وازدادت سلطتهم مع مرو الزمن وأصبحوا يحكمون باستقلال تام عن الملك حتى لم تعُد تربطهم به سوى رابطة خفيفة . وقد اقام كل منهم بلاطاً من حوله ؛ واصبح يحكم كأنه ملك صغير في ولايته وأطلقوا على أنفسهم أسم ((أمراء الأقاليم العِظام)) . وقد أدى ضعف الملوك الكهنة إلى زوال ملكهم ؛ بعد أن دام حوالي (140) عاماً تقريباً [26]. ومن اهم سمات عصر الأسرة الخامسة نستطيع تمييزها بما يأتي :-

- تميّز عصر الأسرة الخامسة بازدياد نفوذ كهنة إله الشمس ((رع)) وتدخلهم في أمور الدنيا والآخرة ؛ وقد تلَّقب ((آوسر كاف)) أوّل ملوك الأسرة بلقب ((آر ماعت)) ؛ أي مُحقّق العدل .

- وخلّفه على العرش ثمانية ملوك هم : ((ساحور رع ؛ نفراير كارع ؛ شبس كارع ؛ نفرخع رع ؛ ني وسر رع ؛ من كاو حور ؛جد كارع؛ اوناس)) ؛ والمُلاحظ إنّ اسم رع يكمل مقطعاً من أسماء ستة ملوك منهم .

- لقد اهتم ملوك هذه الأسرة ببناء معابد للإله (رع) ؛ فقد أقاموا على ستة من المعابد لهذه الآله ؛ لم يضع المصريون في معابد إله رع الشمس تماثيل ولم يقيموا بها محاريب مغلقة[27].

- لقد اهتم ملوك الأسرة الخامسة ببناء قبورهم ؛ ولكنّ اهتمامهم لم يبلُغ درجة اهتمامهم ببناء معابد الاله رع . لذا اخذ يتضاءل حجم هذه الأهرامات أمام أهرامات الأسرة الرابعة ؛ وإن كان آخر ملوك هذه الأسرة قد قدّم ما عوّض ضآلة حجم هرمه بتزيين جدران حجرة الدفن والقاعة المؤدية إليهما بنصوص دينية وأسطورية تُعرف اليوم باسم ((متون الأهرام)) .

- ويظهر ان التطور السياسي والاجتماعي قد قطع في مصر شوطاً كبيراً أثناء فترة حكم الأسرة الخامسة . وقد ظهر ذلك في ازدياد نفوذ كهنة عبدة الشمس ؛ وحرص الملوك على ارضائهم ؛ رغبةً منهم في ضمان ولائهم للعرش .كما توّدد الملوك لرجالات الطبقة العليا من المجتمع ؛ وسمحوا لهم بتقلّد منصب الوزارة ؛ وكان قاصراً من قبل على كبار أمراء البيت المالك وحدهم . وتصاهر الملوك مع ابناء الشعب فتزوجوا منهم وزوجوهم أميرات ؛ وتوسعوا في تربية ابناء الكبراء في قصورهم . وسمحوا للبعض ان يرثوا وظائف آبائهم .

- ولقد تطورت الإدارة خلال فترة حكم الأسرة الخامسة وزادت سُلطات الموظفين وارتفع شأنهم ؛ وزادت بالتالي إمكاناتهم الماديّة ومراكزهم الشرفيّة . وأدّى هذا إلى عدم التزام كثيرين منهم بتشييد مقابرهم حول اهرام ملوكهم [28].

ولم يتردد بعض الحكام في ان ينقروا مقابرهم في الصخر في مناطق حكمهم . وتدّل هذه المقابر على ثراء ونفوذ واسعَين ؛ أمّا عامة الشعب فبقوا على فقرهم يرون عقيدة الاله رع تبشر الأغنياء بحياة رغيدة في العالَم الآخر ، لذلك بحثوا عن عقيدة أخرى يُحاسب الناس فيها على قدر اعمالهم ولا تقيم وزناً للغني لغِناه ولا تُعاقب الفقير على فُقره . ووجدوا ضالتهم في عقيدة اوزيريس الذي يُحاسب الناس بالحق والعدل ولا ينال جنته إلّا مَن تطهَّر قلبه وحسُنت نواياه وابتعد عن أذى الناس ولكن إنتشار هذه العقيدة بين الفقراء لم يُقلّل كثيراً من مركز عقيدة الشمس كعبادة رسمية في الدولة[29].

المبحث الثاني

تصاعد دور حُكام الأقاليم للسيطرة على الحُكم في مصر في الإسرة السادسة 2420 – 2263 ق . م

لقد تضاربت الروايات حول أصل ملوك الأسرة السادسة ؛ هل هُم وارثو العرش ؟ أو هل هُم مُغتصبون لها ؟ [30]. لكن الأكيد الذي وصلنا في الكتابات التاريخية المصرية القديمة من إنّ الملك (ونيس(أوناس)) آخر ملوك الأسرة الخامسة قد تزوج من إحدى أميرات الأسرة السادسة ؛ وهذا الأمر قد أعطى فرضية شرعية لنظام الحكم في الأسرة السادسة وليس اغتصابهم لها[31].وهذا جعلهم يواجهون الكثير من الصعوبات السياسية المتمثلة في شرعية حكمهم رغم إنهم اجتهدوا كثيراً في تثبيت أحقيتهم بالعرش معتّدين بأنفسهم على أنهم يعودون لملوك الأسرة الخامسة[32]. وإنّ مشكلة ثانية قد واجهت نظام حكمهم واربكت علاقتهم مع أبناء شعبهم ؛ فقد فكر وسعى حكام الأسرة السادسة الى تغيير سياساتهم الدينية فحاولوا صرف الناس عن تمجيد الإله (رع) الى تمجيد الإله (بتاح) إله أقليم (منف)[33] ؛ الذي ظهر منذ نشأة الأقاليم . والظاهر إنّ الملك ((تيتي) سحتب تاوى) قد قاد هذا التحول في عهده ؛ وهناك بعض الشواهد من آثار التاريخ؛ ففي المتحف البريطاني لوح مكتوب فيه (تمجيد الإله بتاح) ؛ وفيه تخليد لأسمه وإسناد الخلق إليه ؛ فهو خالق كل شيء في هذا الوجود المصري[34]. هذا هو الذي جعل الملك (تيتي) يفرق على كاهنه (سابو) من الخير ما ملأ حياته بالسعادة واليُسر؛ ثمّ منحه من الحقوق والإمتيازات ؛ ما رفع من شأنه بحيث وصل ألى أرقى وظائف القصر ؛ ويُفاخر الملك نفسه بقربه من الإله (بتاح) ؛ ورضا ذلك الإله عنه[35].

وهناك وثيقتان صادرتان من كبير كهنة الإله بتاح في منف ؛ وهما تدلّان على ان الملك ((تيتي)) كان متجهّاً بميوله الى تنظيم كهنوت الاله(بتاح) . وقد قام فعلاً بإصلاحات وتغيرات مهمّة في نظام الكهنة ، ومن هذا يتضح ان الكاهن الأكبر للإله بتاح في عهد الأسرة السادسة كانت له مكانة متميزة قريبة من الملك ؛ فضلاً عن تمّ العثور على تمثال للملك ((تيتي)) نُقش عليه ((محبوب بتاح))[36]. هذا التغيير في العقيدة الدينية ؛ كان قد انعكس على طبيعة أدوار المؤسسة الدينية بجناحيها الالهين(رع و بتاح) ؛ فظهر ضعف سلطة كهنة الاله (رع) ؛ تبعهُ إرتفاع في نفوذ كهنة الاله (بتاح) ؛ وتغلبت عقيدة مذهب اقليم (منف) والآله بتاح على عقيدة الاله (رع)في هيلوبوليس وفي نص هيروغليفي يذكر فيها كيف ان الإله ((بتاح)) كان الخالق الأول وكيف ان الخليقة جاءت من عقله عن طريق الكلام (عن طريق الفكر أتى العقل وأتى علم اللسان ...)[37].

وهذا يختلف اختلافاً كليّاً عن تعاليم ((هيلوبوليس)) حيث كان يُعبد الإله ((رع)) ؛ ويُعد كأنه هو خالق الأشياء ؛ لمّا كانت (هيلو بوليس) و (منف) متقابلتين على شاطئ النيل . فلنا ان نتخيّل أيّ نوعٍ من انواع النزاع العنيف قد حدث ويظهر ان منف فازت في هذا الصراع ؛ وربما كان مقتل ((تيتي)) قد رجح كفة الكهنة ((رع)) لبعض الوقت[38]. ان هذا الحدث هو الذي أوجد نوعاً من القلق عند ملوك الأسرة السادسة ؛ وإن إمكانية حدوث حركة تمرد ضد نفوذ كهنة اله الشمس (رع) وارد ؛ وان علو نجم إله (بتاح) في اقيلم (منف) وزيادة قوتهم السياسية يُعزز هذا الشك [39]. وقد ترك موضوع ازدواجية العقيدة الدينية بين كهنة مدينة هيلوبوليس ومدينة منف آثاره في زيادة حدّة الصِراعات وساهمت في زعزعة أسس الاستقرار الذي قام عليه المجتمع طوال عهد الدولة القديمة . فكان هناك صراع سياسي بين الملوك وحُكام الأقاليم ؛ وأيضاً كان صراع اجتماعي بين الإقطاعيين وأفراد الشعب ؛ مُضافاً إليه الصراع الديني بين كهنة الاله (رع) وكهنة الاله (بتاح) ؛ ولعبت هذه الصراعات المُتعدّدة الأطراف دوراً خطيراً في تقويض الدولة من الداخل[40]. وكذلك في الايام الأخيرة من حكم الأسرة السادسة برز الصِدام بين القصر والمعبد ؛ وإنّ منح الامتيازات للمعابد يمكن النظر اليه بطريقة من طُرق النزاع بين الملوك وحُكام المناطق . وكانت الأداة في هذا الصراع مجموعة الكهنة ؛ ولكن بالمُحصلّة سار الكهنة عكس رغبة الملوك وساروا على نهج حكام

المُقاطعات وتحولّوا إلى قوة تُهدد بتمزيق وحدة الدولة والمجتمع[41]. لقد أصّر ملوك الأسرة السادسة على أعلاء عبادة الإله (بتاح) في مدينة (منف) ؛ وتذكر النصوص والكتابات التاريخية ؛ التي تعود الى عصر الملك (تيتي) بأنّ هذا الملك أراد تنظيم عبادة الاله (بتاح) الواحد الخالق لكل شيء[42].

وإتخّذ (تيتي) لنفسه لقب (المحبوب من بتاح) إله مدينة (منف) تقرّباً منه الى كهنة مدينة (منف) وربما كان السبب في ذلك أنّه اعتمد عليهم في توليه العَرش[43]. ومن الوثائق التي جاءت إلينا من عهد (تيتي) هي قراره بإعفاء الأراضي التابعة لمعبد (ابيدوس)[44] من الضرائب . وكان ذلك من دلائل الضَعف ؛ حيث ان هذه الممارسة السخيّة على حساب الخزانة الملكية هي التي قوضّت السُلطات الملكية[45].

ولقد أتت سياسة (تيتي) السلمية دون شك ثمارها ؛ كما كان أول ملك ارتبط اسمياً بعبادة الآلهة (حتحور) في (دندرة) ؛ وحافظ كذلك على علاقات الأسرة السادسة الدولية . وذلك أكبر دليل على سلامة سياسته الداخلية ؛ فاستمرت العلاقات مع (هيلوبوليس) ؛ وربما مع بلاد (بونت)[46] ومع (النوبة)[47] على الأقل[48]. وكانت نتائج الصراع الديني بين كهنة مدينة منف و مدينة هيلوبوليس كما يذكر الكاهن (مانيثو)[49]، ان قتل الملك(تيتي) كان من قبل حُراسه[50]. ولكن كون عصر (تيتي) كان مليئاً بالاضطرابات والفِتن فلا يمنع ان تكون رواية (مانيثو) صحيحة ؛ والمُرجح ان كُهان الشمس ؛ الذين رأوا في مُناهضة أهل ذلك البيت لسياستهم الدينية ما يُفسد عليهم أمور سياساتهم فباتوا يتربصون بصاحب القصر، وليس ببعيد أن يكونوا قد فتنوا الجيش والكثير من الأفراد ؛ ودسوّا للملك في قصره مَن قتله من حُراسه[51] ؛ فسقط صريع نزاع بين قوتَي الكهنة المتنافسين ؛ بل ربما امتّد هذا الصراع الى ما قبل سقوط الأسرة الخامسة بدليل ان (اوناس) لم يكن يحمل في ثنايا إسمه كلمة (رع) وربما لجأ الى كهنة مدينة (منف) ؛ حتّى إنّه بنى هرمه هناك[52].

مُبررات تطلّع الكهنة إلى عرش مصر :

أولاً : إزدياد نفوذ الكهنة سياسياً :

لقد ارتبطت قوة كهنة مدينة منف أو كهنة مدينة هيلوبوليس بمدى ضعف وقوة ملوك الأسرة السادسة وقوة كهنة (بتاح) ايزيس من جانب آخر ؛ فقد ظهر دور الكهنة والمؤسسة الدينية ؛ الذي كان من نتائجه ان سقطت الأسرة الخامسة . فقد كان الكهنة ضعافاً حينما تقوم حكومة قويّة ؛ أما في عهد الحكومات الضعيفة ؛ فإنّ سلطة الكاهن الأكبر كانت في الوقت نفسه حالة تزايد ؛ توضحت فيه مسألة أخرى ؛ وهي ان الكهنة لم يكونوا جميعاً يمتلكون حقّ التمتع بثروة معابدهم[53] ؛ بل كان عدد المتمتعين بتلك الثروات قليلاً .

ومع إنّ ((أسرة كهنة إله الشمس)) من ملوك الأسرة الخامسة قد سقطت نتيجة الصراعات الحادّة بين الكهنة ؛ لكنها خلّفت وراءها ظلالاً كثيفة من الشك حول قدسية الملك في نظر الرعية بعد أن كانت مِن قَبلُ من البديهيات. كما إنّه وفي بداية حكم الأسرة السادسة عَرفت الثورة طريقها الى القصر وسقط الملك (تيتي) مؤسس هذه الأسرة صريع المؤامرات التي حاكها كهنة (إله الشمس)[54] وذلك لموقفه السلبي منهم .

إذ وصلت إلينا وثيقتان صادرتان من كبير كهنة الإله (بتاح) في (منف) تدلّان على ان الملك (تتي) كان مُتجهاً بميوله الى تنظيم عبادة (بتاح) ؛ وفيها يصبح للكاهن الأكبر للإله (بتاح) مكانة متميزة قريبة من الملك كان لا يمكن ان يصل إليها عندما كان نفوذ الاله (رع) سائداً في البلاد[55]. ولنا أن نتصوّر مدى عنف هذا الصراع إذا عرفنا ان (هليو بوليس) و (منف) كانتا متجاورتين لا يفصل بينهما سوى مجرى النيل ؛ وبلغ من عنف هذا الصراع ان راح ضحيته احد الفراعنة العِظام . الذي يُرجح انه مات ميتةً عنيفة ومفاجئة ؛ وهو ما يُدلل على ان كهنة الشمس هُم الذين دبروا موته إن عادت كفّة (رع) الى الرَجحان بعد مقتله وأشتّد نفوذ كهنة مدينة (هليوبوليس)[56] .

ويبدو عند المؤرخين بان هذا الصراع امتد الى أواخر الأسرة الخامسة حتى حسمه كهنة (رع) ؛ وتولى (وسركارع) العرش بعد التخلّص من (تتي)[57] ؛ إلّا ان (وسركارع) هذا لم يبق في الحكم إلّا سنوات قليلة ولم يكد يخلّف وراءه آثاراً في البلاد ، أو لعلّه أسقط من النقوش القديمة عَمداً إذ انه وصل للحكم بدعم من كهنة (رع) لاستعادة عرش اسرتهم ؛ ولكنّه غُلب بعد ذلك على أمره ؛ فلمّا أستتبت الأمور للملك (بيبي الأول) لم يجرؤ الموظفون على ذكره ؛ إذ اعتبروه مُغتصباً وخارجاً على الشرعية[58].

ورغم النيّة السياسية الظاهرة لملوك الأسرة السادسة ؛ حيث انهم رحبوا بالآلهة جميعاً وباركوها خوفاً من إثارة الفِتن الدينية والنزعات المتطرفة في تقويض نظام حكمهم ؛ حتّى عندما ازدادت الأمور غموضاً وتعقيداً وتعددت الآلهة الخالقة ؛ فشلت كل المُحاولات لإيجاد صيغة واحدة يقبلها جميع الكهنوت في المعابد المصرية التي أصرّت على موقفها ؛ فإن الفرعون حتى عندما نراه يميل الى بعض الالهة على حساب الآلهة الأخرى ؛ فأن قضية التعدّد والاختلاف الفكري لم تهمُه الى درجة كبيرة[59]؛ إلّا أنهم ضمروا إنحيازهم لآلهة بتاح ؛ وهو ما خلق لهم مشاكل دينية وسياسية عديدة .

ثانياً : إزدياد نفوذ الكهنة إقتصادياً :

إنّ إزدياد دور كهنة الاله(بتاح) قد جعلهم بمثابة دعامة العرش في مصر ؛ حيث ظهر نوع من التنافس بين الكهنة وأخذ كل منهم يحاول التقرّب من الملك من أجل الحصول على المُنح والإعفاءات .

وفي الحقيقة ان تحوّل طبقة الكهنة الى مؤسسة قويّة ذات ثراء فاحش مردَهُ إلى أمرين ؛ تقوى الشعوب وكرم الملوك السياسي ؛ فأصبحوا بمرور الزمن طبقة لها من المكانة والسُلطات ما يفوق سائر الطبقات[60].

ويذهب هيرودوت الى ان الكُهان إنما كانوا يتمتعون بامتيازات ليست بالقليلة ؛ فهُم لا يستهلكون ولا يُنفقون شيئاً من ثرواتهم الخاصّة ؛ بل يُصنع لهم الخبز المقدّس ويصيب كل واحد منهم يومياً كمية كبيرة من لحم البقر والإوز وتقدّم لهم نبيذا مصنوعة من العِنب[61]. وان مَن عظَّمَ موارد طبقة الكهنة اقتصاديا ومكَّنهُم من تعظيم مواردهم حجم الهِبات والقرابين ؛ فكانت تتكدّس القرابين فوق المذابح ؛ وبعد ذلك يُعلن بان الإله شبع وشبعت معه الالهة الأخرى في بلاطه القاطنين في معبده، فترد حينئذٍ القرابين الى المعامل حيث توزّع طبقاً لنظام محدّد بين مختلف كُهان المعبد ؛ وهكذا بعدما شبعت روح الإله وأرواح ذوي المقامات العُلا بجوهرها الروحي[62]. فارتفعت منزلتهم وزادت ثرواتهم زيادة كبيرة من جراء الهدايا الثمينة ؛ التي كان يعيش اولئك الكهنة من تلك القرابين المخصصة للإله مُستمتعين بمواردها الماديّة التي يقدمها الملوك الى المعابد وتخصيص جزء كبير من غنائم الحروب لهم . ناهيك عن الهدايا والنذور والقرابين التي كان يقدمها المُتعبدون ؛ فكثرت واردات المُشرفين على خدمته وشؤونه من مختلف الدرجات من الكهنة الذين كانوا مع الكاهن الكبير[63]، فأصبح كهنة المعابد الكبيرة منهم على وجه الخصوص يشكلّون طبقة غنية جداً ؛ واستطاعوا في مراحل عديدة التحكّم في مصائر البلاد ؛ وقد أغدق ملوك الاسرة السادسة مساحات عديدة من الأراضي ؛ خصوصاً أراضي المعابد نفسها والقريبة منها لكسب ولائهم . وقد عُرف ذلك في حينه بنظام الوقف الزراعي لصالح أحد الآلهة ؛ وضمنت الملوك في الوقت نفسه طعاماً للإله ولمن يقومون بخدمته في الشؤون الدينية ؛ وأشارت بعض النصوص لهذه الحالة بالشكل الآتي : **((إنهم يعيشون في مؤونة الإله ؛ وهي كل ما يخرج من المذابح بعد أن يستمتع به الإله))**[64] . وكان الإله يُسّرْ بهذه النذور ؛ والكهنة يأكلونها ؛ كما ان الكهنة كانوا ايضاً يتمتعون بثمار كل ما كان يملكه المعبد[65] . وتصاعد دورهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي بالشكل الذي جعلهم فيما بعد يتطلعون مع حكام الاقاليم للعرش .

المَبحث الثالث

العوامل التي ساهمت في تطلّع حُكام الأقاليم لعرش مصر

لقد أتسّمت فلسفة نظام الحكم في الدولة القديمة منذ عهد الأسرة الأولى حتى الاسرة الخامسة بنظام الحكم الفردي المُطلق ؛ لكننا وجدنا إنّ هذا النظام وفي نهاية حكم الأسرة الخامسة وبداية حكم الأسرة السادسة اتجّه الى نظام الحكم اللامركزي ؛ حتى عُرف بان الجالس على العرش في مدينة (منف) قوي البأس ؛ وكان يُساعده في إدارة الأقاليم موظفون لديه يعملون بوحي منه ؛ وهُم باقون في وظائفهم ما داموا حائزين على رضا الملك الإله[66]. ويعود هذا الأمر إلى الحقيقة التي صارت واضحة من إنّ إلوهية ملوك هذا النظام قد شابها الضعف؛ وبدأ الضعف في هذا الإيمان منذ إرتباط الملك بالكهنة ؛ ونتج عنها المصاهرات[67]. تعاظمت اهمية الأقاليم وأصبحت كأهمية العاصمة؛ وتزايد عدد الألقاب الإدارية المركزية التي أختُلف عليها . وهذا الأمر انعكس على الأوضاع السياسية في مصر[68]. وأخذت طموحات وتطلعات حكام الاقاليم تدير وجهها الى غير الأحياء عندما تولّى ملوك الأسرة السادسة زمام أمور البلاد بما أكتسبه حكام الأقاليم من مناصب وراثية بالأقاليم التي حكموها[69].ولم يستعمل ملوك النصف الثاني من الدولة القديمة (2686 – 2181 ق . م) حقهّم في نقل حكام الأقاليم أو عزلهم ؛ بل كانوا يقرّون إقامة أبنائهم في مراكزهم ؛ ولم يلبث ان اصبح ذلك عادة ثمّ حقّاً لكل حاكم من حكام الأقاليم ، فتمتع الكثير منهم بسلطات واسعة في أقاليمهم ولاسيما إذا كانت بعيدة عن العاصمة ؛ وهكذا نشأت أسر لأمراء الأقاليم ؛ وأصبح للأقاليم شأنٌ كبيرٌ إلى جانب العاصمة[70]؛ وارتفعت مكانة حكام الأقاليم خلال حكم الأسرة السادسة حتى أصبحوا يُلّقبون بلقب حاكم المقاطعة العظيم[71]. يبدو إنّ حكام الأقاليم كانوا قد شغلّوا المُنح الوراثية التي أتبّعها ملوك مصر في (منف) على الأقوياء منهم ؛ فضلاً عن ضخامة حجم البلاط المُحيط بهم ممّا يوحي وكأن كل أقليم إنما أصبح دولة داخل الدولة ، فقد كان حاكم الأقليم هو الكاهن الملكي لأقليمه كما كان من الناحية الادارية مدير القصر وحامل الختم الملكي ؛ الوظيفة التي كانت من اختصاص الوزير مِن قَبلْ[72].

ولقد تعاظم دور حكام الأقاليم مستندة الى تغييرات سياسية استغلها حكام الأقاليم في توسيع صلاحياتهم ؛ حيث لم يعودوا ينقلون من أماكنهم وباتت مناصبهم وراثية في واقع الحال إن لم يكُن قانونياً[73].

وجرى تشييد الجبّانات الخاصّة بالأمراء في عواصم الأقاليم ؛ حيث تواصل توريث منصب الكاهن الجنائزي خلَفاً عن سَلف ؛ وهو ما يتفق والتقاليد المتوارثة الى جانب توريث منصب حاكم الأقليم[74].

وفي اغلب الأحيان كان الاستثمار الاقتصادي للمنطقة هو ركيزة هذا الإقطاع ؛ وهو المهمة الأساسية لحاكم الأقليم باعتباره المسؤول عن حُسن تنظيم الري والمُشرف العام على الأملاك[75].

وإن طموحات وتطلعات حكام الأقاليم في الاستقلال مع ضعف مؤسسة القصر والوزير قد مكّن اولئك الحكام من الاستحواذ على الكثير من الصلاحيات ؛ التي جُمعت بين أيديهم السلطات الدينية والإدارية والعسكرية بأقاليمهم وارتفعت بهم الى أعلى المراتب التشريفية فعملوا على اتخاذ مظاهر يتشبهون فيها بملكهم كبناء المقابر الخاصة بأقاليمهم وتسجيل أعمالهم عليها وتاريخها بسِني حكمهم[76].

لم تنجح مُحاولات ملوك الأسرة السادسة في كسب رِضا وتأييد حُكام الأقاليم إلى ازدياد روح الثقة بالنفس بين هؤلاء الحكام فاعتبروا أنفسهم إما سادة الأقاليم أو موظفي الملك تبعاً لقوة وضعف الملكية[77].

لقد دبَّ الضعف في الدولة المركزية القوية ؛ التي ميزّت العهود السالفة وذلك حين كانت اكبر أطماع كل حاكم اقليم ان يقام قبره في ظل هرم مولاه ؛ أما الآن فإنّ كرم الملك الفرعون بالنسبة للمقربين له أصبح لا يلقى الجزاء المُناسب . ذلك ان ثروته الخاصة لم تُستنزف فحسب ؛ بل ان ثروة حكام الأقاليم أخذت تزداد تضخماً حتى أصبحوا ينافسونه بالقوة والنفوذ[78] ؛ ومع تنازل ملوك هذه الأسرة أمام طلبات حكام

الأقاليم عن سلطات واسعة فمنحوهم حق القضاء المستقل في اقاليمهم وأعفوهم من الضرائب وسمحوا لهم بتكوين حرس خاص يشبه الجيش المحلي . وتطوّر الأمر الى أكثر من ذلك فاعترف الملوك بحق حكام الأقاليم في توريث مناصبهم لابنائهم ؛ وكان هذا الحق بمثابة تقليد متفّق عليه في أول الأمر ؛ ثمّ أصبح حقّاً مُكتسباً لحكام الأقاليم إبتداءً من الأسرة السادسة[79].ففي الوقت الذي كان فيه ميراث الوظيفة والمكانة دينية من الملك الإله الذي يملك كل شيء فإن هذه المنحة أصبحت حقّاً سياسياً نتيجة ضعف الملوك ؛ وبالتالي اصبح حكام الأقاليم وكأنهم ملوك على جزء كبير من اقاليم مصر رغم مظاهر التقرّب والخضوع الاسمي لملك البلاد[80]. إلّا أنهم كانوا يعملون على جمع قواهم في دويلات صغيرة مستقلّة ؛ في حين لم يستطع الملك العجوز ان يقوم بأي عمل لإنقاذ البلاد[81].إن هذه التطورات السياسية لم تَحدث فجأة بل تدريجياً لأن حكام الأقاليم استمروا لمدة طويلة خاضعين بعض الخضوع لملوكهم منفذين ارادته وأوامره ؛ ولمّا أصبحت وظائفهم وراثية محصورة في أسرهم استمروا زمناً يُعيَّنون في تلك الوظائف بأمر ملكي ويُمنحون الإقطاعات والألقاب بمرسوم ملكي أيضاً[82]. واختلف نفوذ حكام الأقاليم تبعاً لشخصياتهم وشخصيات الفراعنة في مصر من الذين عملوا في عهودهم أو عملوا في خدمتهم ؛ فاستمر اغلبهم يرد وجود نشاطه في أقليمه الى امر الفرعون وتوجيهه وفضله . بينما امتاز الى جانبهم عدد آخر حرص افراده على ان يؤكدوا مجهوداتهم الشخصية ومآثرهم الفردية في نقوش مقابرهم ؛ شرحوا فيها كيفية عملهم في تعمير اقاليمهم ووطدوا الأمن فيها ؛ وكيف ساروا بالعدل بين أهلها وأسعدوهم ، على الرغم من انهم لم يأبوا في الوقت نفسه ان يوفوا التقاليد الشكلية حقها ؛ فسجلوا الى جانب مآثرهم صوراً عن طاعتهم لملكهم وحرصهم على التقرّب منه وإرضائه شيئاً فشيئاً[83]. استمرّت صورة الملك في الأسرة السادسة في الإهتزاز في هذه المدة ؛ وأصبح الملك نفسه يعترف باخطائه من وقتٍ لآخر وتقرّب من البشر وبذلك خسر جانباً من امتيازاته ؛ ولم يعُد هو المُتفرّد بالسلطة ؛ إنما تقاسمها مع الأمراء وكِبار الموظفين . وأصبحت صورته تعكس من حين لآخر حالاته المزاجية ونواحي الضعف فيها ؛ وبالرغم مِن هذا ظلّ الملك هو الوسيط بين المعبودات والبشر ؛ وحافظ على شيء من السلطة ؛ ولكنّه لم يعد ذلك الكائن المُطلق الذي لا يمكن مُجادلته كما كان في العهود السابقة[84]. وعلى الرغم من ان الدولة القديمة في اواخر ايامها كانت لا تزال في اوج مجدها ولم يظهر أيّ أثر للعُنف ؛ إلّا ان الإقطاعيات التي تكوّنت في البلاد بدأت تشكّل قدَراً من التهديد للسلطة المركزية[85].

لقد ضاعت قدسيّة الدولة عندما تغيّرت طبيعة نظام الحكم والإدارة واتجهت من النزعة الفردية المقدسّة الى النظام الإقطاعي ؛ فالواقع إنّه ما ان زالت دولة الكهنة وقام على انقاضها ملك الأسرة السادسة .

كان أوّل ما وجه إليه الملوك نظرهم ان يتوددوا الى امراء الأقاليم ؛ الذين يضيفون ابناءهم في القصور الملكية ويربونهم مع ابناء الملوك حتى يضمنوا ولاءهم للعرش[86]. كما كانوا يستميلونهم ليسكنوا في العاصمة كي يتمتعوا بنعيمها وينغمسوا في ملذاتها فيلهيهم ذلك عن التفكير في الجاه والسلطة ؛ كما عمد ملوك هذه الأسرة الى الزواج من بنات أمراء الأقاليم ليوّثقوا اواصر المحبة بين بيت الملك وبيوت هؤلاء الأمراء[87]. وربما كان سبب تربية ابناء حكام الأقاليم في قصور الملوك هو بسبب إزدياد نفوذ الأمراء المحليين في فترة حكم هذه الأسرة ؛ ومن أجل ذلك أيضاً إزداد إغداق الأموال على معابدهم وفقد الملوك جراء ذلك الكثير من الأموال والسلطان فأرادوا ان يضمنوا ولاء هؤلاء الأبناء حينما يتولون حكم أقاليمهم بعد آبائهم[88]. كما فطن بعض الملوك الى الخطر الذي يتهددهم من نمو سلطات حكام الأقاليم فكانوا يعيّنون من قبلهم حاكماً عاماً على الصعيد وآخر على الدلتا يُشرفان كسلطة عُليا على الحكام والتنسيق بين الأقاليم المختلفة لضمان إتباعهم للسياسة العامّة للدولة[89].

ان تنازع السلطات أواخر عصر الأسرة السادسة ؛ ونقصد بين ملوك مصر وكهنتها وحكام اقاليمها من العوامل المهمّة التي ساهمت في إضعاف هذه الدولة ؛ الا إنّ ذلك الصراع بين المؤسسة القصر وحكام الأقاليم[90] لم يستمر إذ سُرعان ما نشبت صراعات سياسية داخلية بين حكام الأقاليم أنفسهم ؛ سواءً رغبةً منهم في توسيع رقعة المناطق التي استولوا عليها أو رغبةً في إعلانهم لسلالات قادمة . فكانوا يتناحرون فيما بينهم بكل أسباب الشقاق والأطماع الشخصية وحبّ السيطرة على الآخرين . وأدى اندلاع الحرب الأهلية فيما بينهم الى حدوث ثغرة أمام جحافل بدو الصحاري ؛ التي تسللوا منها الى البلاد ؛ واشاعوا فيها كل انواع الفساد . كل هذا والملك العجوز (بيبي الثاني) قابع في قصره حيث يقوم المنافقون من كبار الموظفين وكبار رجال الدولة بتغذية أذنيه بالأكاذيب ؛ وبأن كل شيء تمام وعلى ما يرام[91].

وهكذا إنهارت البلاد وعمّت الفوضى وشاع الخراب في طول البلاد وعرضها ؛ وفقد الناس ثقتهم في قدرة الدولة على توفير الأمن والحماية والإستقرار ؛ فلم يعُد الفلاحون يزرعون ويحصدون ؛ ولم يعُد العمّال يصنعون أو ينتجون ولم يعُد الفنانون يبدعون بأعمالهم الفنيّة الرفيعة[92].بيد إنّ الخطر الذي كان شاخصاً على مصر حينذاك لم يأت من مشكلاتها الداخلية فقط ؛ وإنما داهمها الخطر كذلك من خارج حدودها ؛ بعد ان تجرأ بعض بدو سيناء وبدو فلسطين على هيبة الدولة وأمن سُبل تجارتها مع بقية المناطق ومنها بلاد الشام . وفيها تجددّت أخطار الهجرات الأمورية على التخوم الشمالية الشرقية بعد ان كانت قد خفّت حدّتها مؤقتاً على يدي (أوني) وجيشه ؛ كما تسرّب بعض هؤلاء الى حواف الدلتا وقُراها ؛ وحاولوا الاستقرار فيها وعجزت الحكومة حينذاك عن تأديبهم وإلزامهم حدود الطاعة لها[93].ويبدو ان خلفاء (بيبي الثاني) لم يستطيعوا إعادة الأمور الى نِصابها وأنتهت الأسرة السادسة بعد ثلاث سنوات من وفاة (بيبي الثاني) ؛ حيث فقدت مصر بعد ذلك وحدتها وتنازعت مصر منذ عهد الأسرة السابعة حتى العاشرة نزاعات إقليمية بين حكام مدينة (اهناسيا) الغرباء وحكام طيبة. وتنازع حكام الأقاليم للسيطرة على مقاليد الأمور فيها بتحريض من كهنة مدينة طيبة او مدينة منف ؛ وبرزت معالم المدن لتعيش مصر عصر الإنهيارات والفوضى والتمردات .

الخاتمة:

لقد وجدنا من خلال الوقائع التاريخية مِن أنَّ مصر بعد نهاية الأسرة الرابعة ؛ قد شهدت ضعفاً سياسياً وإدارياً واضح المعالم ؛ ربما هو الذي ساهم في تقويض السلطة المركزية القويّة ؛ وكان من هذا الضعف بداية ضعف ملوك الأسرة الخامسة . وإنّ هذا الضعف السياسي قد تطوّر وجعل الأسرتين الخامسة والسادسة عاجزة عن إدارة مهامها الإدارية والاقتصادية ؛ ممّا مكّن الكهنة وحكام الاقاليم من التدّخل في شؤون البلاط الملكي ؛ وانّ الضعف والهوان هو الذي جعل ملوك الأسرة السادسة يسعون في إرضائهم بالرشوة أو الهِبات والهدايا . وقد ترافق مع هذا المتغيّر السياسي وبعد ان شاهد حكام الاقاليم حجم الضعف وكبر مساحته ؛ هذا الأمر هو الذي جعل حكام الأقاليم يُعلنون انفصالهم واستقلالهم عن الدولة المركزية والتطلّع لبناء إمارات أو أسَرْ صغيرة ويسعون مُستقبلاً لبناء أسَرْ كبيرة . كما حصل فيما بعد في الأسرة الثامنة والتاسعة مملكة (اهناسيا)[94] ؛ التي تنازعت مع مملكة (طيبة) وتعاصرت معهما .

هذا الأمر هو الذي دفع مصر سياسياً تشهد لأول مرّة في عصر دولتها القديمة إلى تطلّع رجال الدين فيها للتدخّل في شؤون الحكم وترتيب الأمر لهذا الأمير أو ذاك ليكون ملكاً على البلاد ؛ وسهّل الأمر لحُكام الأقاليم المصرية ليعلنوا إستقلالهم . اذا نلاحظ ان تعاظم في دور حكام الأقاليم مستندة الى تغييرات سياسية التي استغلها حكام الأقاليم في توسيع صلاحياتهم ؛ حيث لم يعودوا ينقلون من أماكنهم وباتت مناصبهم وراثية في واقع الحال

الأمر الذي قوّض السلطة السياسية المركزية وجعل مصر تمر بفترة تدهور سياسي واقتصادي استمّر من الأسرة السادسة حتى الأسرة الحادية عشرة .

الهوامش

[1]- جوزيف هويس ، هيئة التاريخ ، (بيروت: منشورات عربية ، 1982 م)، ص 54 ؛ احمد صادق سعد ، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في ضوء النمط الآسيوي ،(بيروت: دار ابن خلدون ، 1979م) ، ص 68 .

[2] -Mox Weldoen, The Theory of Social and Economic Orqanization, London 1974,p.31.

[3]- عامر حسن الفياض ، علي عباس مراد ، الفكر السياسي القديم ، (عمّان : 2010م) ، ص 39 .

[4]- عبد العزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (لبنان : دار الفكر ، 1967م) ، ج 1 ، ص 77 .

[5]- المصدر نفسه ، ج1، ص79.

[6]- انتصار ناجي عبد الزنكي، الاوضاع السياسية والادارية في مصر في عصر الاهرام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الاداب،2004م،ص32.

[7]- المصدر نفسه ، ج1، ص79.

[8]- مزهر الخفاجي ، الدين والدولة في مصر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 148 ، لسنة 2018م، ص 128.

[9]- عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 83 .

[10]- انتصار ناجي عبد ، المصدر السابق، ص39.

[11]- جورج بوزنر وآخرون ، معجم الحضارات المصرية القديمة ، ترجمة : أمين سلامة ، (القاهرة : مكتبة الأسرة ، 1996م) ، ص 185

[12]- المصدر نفسه ، ص 185

[13]- جين بوتر وآخرون ، حضارة الشرق الأدنى والحضارات المبكرّة ، ترجمة : عامر سليمان ، (الموصل: جامعة الموصل، 1986) ، ص 85 .

[14]- عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 85 .

[15]- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 85 .

[16]- فوزي الأخناوي ، الناس في مصر القديمة ، (القاهرة : طبعة المجلس الأعلى للآثار، 1996م)، ص 23.

[17]- مزهر الخفاجي : المصدر السابق ، ص 123 .

[18]- عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 86 .

[19]- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 87

[20]- فوزي الأخناوي، المصدر السابق، ص 42 ؛ عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 87 .

[21]- عبد العزيز عثمان ، ج 1 ، ص 88 .

[22]- سليم حسن ، موسوعة مصرالقديمة ،(القاهرة: مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،2012م)، ج 2، ص 360 .

[23]- عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 90 .

[24]- سليم حسن ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 360 .

[25]- عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 90 .

[26]- فوزي الأخناوي ، المصدر السابق ، ص 24 .

[27]- المصدر السابق نفسه ، ص 24 .

[28]- مزهر الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 126 .

[29]- المصدر نفسه ، ص 126 .

[30] - Kathleen Kriper; Ancient Egypt from prhistory To the Islmic conquest,London, 1954,p.202.

[31]- اثبين وريثون ، جاك فانديه ، مصر ، ترجمة : عبد المنعم ابو بكر ، (القاهرة : د.م، د.ت) ، ص 23 ؛ ناصر الأنصاري ، المجمل في تاريخ مصر ، (القاهرة : دار الشروق ، 1993) ، ص 23 .

[32]- أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، (القاهرة : مؤسسة الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، 1970م) ، ص 56 .

33 - منف: وهي عاصمة المملكة الموحدة التي انشأها الملك مينا وعرفت باسم سايس(الجدار الابيض) وتقم اطلالها على مدينة صا الحجر الحالية في غرب الدلتا وقد احتفظت بهذه التسمية (سايس) حتى عصر الاسرة السادسة اذ اطلق عليها الاسم الشائع (من – نفر) اي الثابت او الدائم وقد اسماها الاغريق (ممنفس) ومنها جاءت التسمية (منف)(انظر: رمضان عبده علي ، تاريخ مصر القديمة (القاهرة: دار نهضة الشرق،2001م)،ج1 ص435)

[34]- أحمد بدوي ، في موكب الشمس ، (القاهرة : 1946م)، ج 1 ، ص 187 .

[35]- المصدر نفسه ، ص 188 .

[36]- نبيلة محمد عبد الحليم ، مصر القديمة تاريخها وحضارتها ، (الاسكندرية : الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، 1977م) ، ص 179

[37]- نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم ، (الاسكندرية:مطبعة الاسكندرية ، 1957 م)، ج1 ، ص 158

[38]- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 158 .

[39]- احمد فخري ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد ، (القاهرة:مكتبة الاسرة، 2012م) ، ص 114 .

[40]- محمد العزب موسى ، أوّل ثورة على الإقطاع ، (القاهرة : دار الهلال ، 1966م) ، ص 36 .

[41]- جياغ قابلو ، عماد سليم ، تاريخ الوطن العربي القديم ، (دمشق : منشورات كلية الآداب ، 2008 م) ، ص 357 .

[42]- سامي سعيد الأحمد ، جمال رشيد، تاريخ الشرق القديم ، (بغداد : طبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،1988م) ، ص 81.

[43] - Margaret. R.Bunson, Encylopedia of Ancient Egypt, New york,2012,p.338.

[44]- محمد بيومي مهران ، مصر منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة ،(الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية، 1989م) ، ص 176

[45]- جين بورتر وآخرون ، المصدر السابق ، ص 330

[46]- البونت: تقع بلاد البونت في على سواحل البحر الاحمر وتعد الموطن الاصلي للبخور وغيره من الاشياء والمقتنيات الثمينة وقد اعتبرها المصريون القدماء من البلدان العجيبة التي تحيط بها الغموض والخيال والرهبة لاعتقادهم انها الموطن الذي نشأت به اغلب معبوداتهم كالاله حوس والذي اتخذته بعصض القبائل في بلاد البونت كمعبود لهم على هيئة صقر ، لذلك اهتم ملوك وفراعنة مصر بهذا بلاد واشتهروا برحلاتهم اليها لا سيما الرحلة التي قامت بها الملكة حتشبسوت(1505-1483ق.م) في السنة التاسعة من حكمها والتي تعد من ابرز الرحلات على الاطلاق لانها اول رحلة تصل الى بلاد البونت وتقيم معها علاقات تجارية بشكل مباشر (للمزير انظر : سميرة الجعراني الساحلي ، رحلة حتشبسوت الى بلاد البونت 1496ق.م، مجلة القلعة ، العدد 9، ص322-323)

[47]- النوبة : تقع جنوب مصر على بعد خمسة أميال من مدينة أسوان فيما بين الشلال الاول والرابع ، وقد كانت تنقسم الى قسمين النوبة السفلى وتقع معظمها داخل الحدود المصرية اذ تمتد من جنوب اسوان حتى ادندان جنوب قسطل وكان يطلق عليها (واوات) والنوبة العليا وتمتد من جنوب ادندان اي الجندل الثاني حتى الجندل السادس شمال الخرطوم وكان يطلق عليها اسم (كاش) وقد كانت لمصر علاقات تجارية مع بلاد النوبة منذ ايام الاسرة الاولى وهذا ما دلت عليه الاثار المكتشفة في عدد من مقابر النوبية اذ وجدت عدد من المواد المصنوعة في مصر وكانت بلاد النوبة مصر مهم لاستيراد البخور والخشب الابنوس والذهب وغير من المنتجات لذلك حرص ملوك وفراعنة مصر على علاقاتهم مع بلاد النوبة سواء بشكل سلمي او عسكري (للمزيد انظر: رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ج1، ص555؛ سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2011م)،ج10،ص8-9)

[48]- نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة: ماهر جيجاتي ، ط2(القاهرة : دار الفكر، 1993م) ، ص 99 .

49- مانيثو: وهو كاهن مصري في معبد بسمنود في محافظة الغربية واشتهر بعلمه ومعرفته لتاريخ مصر وكان ملما باللغة المصرية واليونانية وقد اراد بطليموس الثاني ان يستفيد بعلمه فكلفه بكتابة تاريخ مصر فاستقى معلوماته مما كان في المعابد ومكاتب الحكومة من وثائق ، لكن كتاب مانيثو الاصلي فقد في حريق مكتبة الاسكندرية ولم يعثر حتة الان على اي نسخة كاملة او ناقصة منه وكل ما

وصل الينا ليس الا مقتطفات من ذلك التاريخ عن طريق بعض الكتاب الكلاسيكين(انظر: رمضان عبده علي: تاريخ مصر القديمة، ج1، ص36).

[50]- سامي سعيد الاحمد ، جمال رشيد ، المصدر السابق ، ص 81 .

[51]- أحمد بدوي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 188 .

[52]- محمد بيومي مهران ، المصدر السابق ، ص 178 .

[53] -James Baikie, The Ancient East and lts story, London,1912,p.51

[54]- محمد ابراهيم بكر ، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، (القاهرة: هيئة آثار مصر ، 1992م) ، ص 212 .

[55]- سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، (القاهرة : مكتبة الأسرة ، 2000م) ، ج 1 ، 362 .

[56]- محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 63 .

[57]- احمد امين سليم ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر-العراق)(بيروت: دار النهضة العربية،1989م) ، ص 74.

[58]- احمد فخري ، المصدر السابق ، ص 114 .

[59]- محمد عبد القادر محمد ،الديانة في مصر الفرعونية ، (القاهرة : دار المعارف ، 1984م) ، ص 11 .

[60]- نبيلة محمد عبد الحليم ، المصدر السابق ، ص 141 .

[61]- محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ،(الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية،1989م)، ج 2 ، ص 528.

[62]- سيرج سونيرون ، كُهان مصر القديمة ، ترجمة : زينب الكردي ، (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتب، 1975م) ، ص 92 .

[63]- تقي الدبّاغ ، الفكر الديني القديم ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، 1995م) ، ص 77.

[64]- سيرج سونيرون ، المصدر السابق ، ص 92 .

[65]- تقي الدبّاغ ، المصدر السابق ، ص 87 .

[66]- محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ، ج 2 ، ص 194 .

[67]- محمد بيومي مهران ، الثورات في مصر ، ص 201 .

[68]- جين بورتر وآخرون ، المصدر السابق ، ص 335 .

[69]- حسن محمد محي الدين السعدي ، حُكام الاقاليم في مصر الفرعونية ، (الاسكندرية : دار المعارف ، 1991م) ، ص112

[70]- ابراهيم احمد رزقانة وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ،(القاهرة: دار مصر للطباعة ، د.ت)، ص 114 .

[71]- جياغ قابلو ، عماد سمير ، المصدر السابق ، ص 357 .

[72]- محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ، ج 2 ، ص 167 .

[73]- نيقولا جريمال : المصدر السابق ، ص 113 .

[74]- الكسندر شارف ، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الاسكندرية ، ترجمة : عبد المنعم ابو بكر ، (القاهرة : د.ت) ، ص 65 .

[75]- نيقولا جريمال ، المصدر السابق ، ص 113 .

[76]- جين بورتر وآخرون ، المصدر السابق ، ص 332 .

[77]- محمد علي سعد الله ، في تاريخ مصر القديمة ،(الاسكندرية: مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية ، 1989م)، ص 137 .

[78]- آلن جاردنر ، مصر الفراعنة ، ترجمة: نجيب مخائيل(القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1979م)، ص 111 .

[79]- محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 65 .

[80]- محمد علي سعد الله ، المصدر السابق ، ص 137.

[81]- محمود امهر، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، 2010م) ، ص 176 .

[82]- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي ، (القاهرة : 1996م) ، ص 85 .

[83] - Anette Olivier; Social Status of Elite Women of the of New kingdom of Ancient Egypt, University of south africa 2008,p.54

[84]- فايز انور عبد المطلب ، الوعي السياسي عند قدماء المصريين ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 2013 م) ، ص 83.
[85]- نيقولا جريمال ، المصدر السابق ، ص 98
[86]- ابراهيم نمير سيف الدين وآخرون ، مصر في العصور القديمة ، (القاهرة :د.ت) ، ص 50 .
[87]- المصدر نفسه ، ص 50 .
[88]- محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ، ج 2 ، ص 141 .
[89]- محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 57 .
[90] - Rosalie David, Hand book To life In Ancient Egypt, New York ,1962 ,p.81.
[91]- عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ص 212 .
[92]- مختار السويفي ، أمّ الحضارات (ملامح عامة لأول حضارة صنعها الانسان)،(القاهرة : الدار العربية للطباعة،1999م)، ج 2 ، ص 215 .
[93]- عبد العزيز صالح ، المصدر السابق ، ص 212 .

94- اهناسيا : وهي المملكة التي نشأت في مصر الوسطى في مدينة (هنن نسوت) على بعد 110كم من طرف الدلتا وعرفت فيما بعد باسم هيراكليوبوليس (اهناسيا المدينة جنوب بني سويف) (انظر: رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة،ج1،ص417.

Sources

•Abdul Aziz Osman, Landmarks of the Ancient History of the Near East, (Lebanon: House of Thought, 1967)
•Ahmed Amin Salim, Studies in the History of the Ancient Near East (Egypt-Iraq) (Beirut: Arab Renaissance House, 1989)
•Ahmed Badawi, In the Sun Parade, (Cairo: 1946),vol 1.
•Ahmed Hussein, Encyclopedia of Egypt's History, (Cairo: People's Press, Printing and Publishing Foundation, 1970)
•Ahmed Sadiq Saad, Egypt's social and economic history in light of the Asian style, (Beirut: Dar Ibn Khaldun, 1979)
•Ahmed Fakhri, Pharaonic Egypt, Summary of Egypt's History from ancient times until 332 B.C., (Cairo:Family Library, 2012)
•Alan Gardner, Egypt Pharaohs, Translation: Najib Mikhael (Cairo: Egyptian Book Commission, 1979)
•Alexander Scharf, History of Egypt from the dawn of history to the establishment of the city of Alexandria, translated by Abdel Moneim Abu Bakr, (Cairo: N.D)
•Anette Olivier; Social Status of Elite Women of the of New kingdom of Ancient Egypt, University of southafrica ,2008

•Fayez Anwar Abdul Mutalib, Political Awareness of ancient Egyptians, (Cairo: Egyptian Book Commission, 2013)
•Fawzi Al-Aknawi, People in Ancient Egypt, (Cairo: Edition of the Supreme Council of Antiquities, 1996)
•George Posner et al., Dictionary of Ancient Egyptian Civilizations, Translated by Amin Salameh, (Cairo: Family Library, 1996)
•Gyag Meto, Imad Salim, History of the Ancient Arab World, (Damascus: Publications of the Faculty of Arts, 2008)
•Hassan Mohammed Mohieddin Al Saadi, Regional Rulers of Pharaonic Egypt, (Alexandria: House of Knowledge, 1991)
• Hassan al-Fayyad, Ali Abbas Murad, Old Political Thought, (Amman: 2010)
•Ibrahim Ahmed Rizkaneh et al., Civilization of Egypt and the Ancient East,(Cairo: Egypt Printing House, N.D.
•Ibrahim Nimeir Seifeddine et al., Egypt in antiquity, (Cairo: N.D)
•Intisar Naji Abdel Zinki, Political and Administrative Situation in Egypt in the Age of Al-Ahram, Unpublished Master's Letter, Baghdad University - Faculty of Literature, 2004.
•James Baikie, The Ancient East and lts story, (London,1912)
•James Henry Prested, History of Egypt from the oldest ages to the Persian Conquest, (Cairo: 1996)
•Jane Potter et al., Near East Civilization and Early Civilizations, translated by Amer Suleiman (Mosul: Mosul University, 1986)
•Joseph Hoys, History Commission, (Beirut: Arab Publications, 1982)
•Kathleen Kriper; Ancient Egypt from prhistory To the Islmic conquest(London, 1954)
Margaret. R.Bunson, Encylopedia of Ancient Egypt, (New york,2012)
•Mezher Al-Khafaji, Religion and State in Egypt, Journal of the Faculty of Arts, Baghdad University, Issue 148, 2018.• Fawzi Al-Aknawi, People in Ancient Egypt, (Cairo: Edition of the Supreme Council of Antiquities, 1996)
•Mohamed Ibrahim Bakr, Bright Pages of Egypt's Ancient History, (Cairo: Antiquities Authority of Egypt, 1992)
•Mohamed Abdel Kader Mohammed, Religion in Pharaonic Egypt, (Cairo: House of Knowledge, 1984)
•Mohamed Bayoumi Mehran, Ancient Egyptian Civilization, (Alexandria: University House of Knowledge, 1989)

• Mohammed Bayoumi Mehran, Egypt from the establishment of the monarchy until the establishment of the modern state, (Alexandria: University House of Knowledge, 1989)
•Mohammed Al-Azeb Musa, The First Revolution on Feudalism, (Cairo: Dar al-Hilal, 1966)
•Muhammad Ali Saadallah, in the history of ancient Egypt, (Alexandria: Alexandria University Youth Foundation, 1989)
•Mahmoud Amhar, In the History of the Ancient Near East, (Cairo: Arab Renaissance House, 2010)
•Mokhtar Al-Suwaifi, Mother of Civilizations (General Features of the First Man-Made Civilization), Cairo: Arab Printing House, 1999)
•Mox Weldoen, The Theory of Social and Economic Orqanization, (London 1974)
•Nasser al-Ansari, the most complete in the history of Egypt, (Cairo: Dar al-Shorouk, 1993)
•Najib Mikhail Ibrahim, Egypt and the Ancient Near East, (Alexandria: Alexandria Press, 1957)
•Nabila Mohamed Abdel Halim, Ancient Egypt's history and civilization, (Alexandria: Egyptian General Book Commission, 1977)
•Nicholas Grimal, History of Ancient Egypt, Translated by Maher Gigati, I2 (Cairo: Dar al-Fikr, 1993)
•Ramadan Abdo Ali, History of Ancient Egypt (Cairo: House of the Renaissance of the East, 2001)
•Rosalie David, Hand book To life In Ancient Egypt, (New York ,1962)
• Sami Saeed al-Ahmad, Jamal Rashid, History of the Old East, (Baghdad: Edition of the Ministry of Higher Education and Scientific Research, 1988)
•Salim Hassan, Encyclopedia of Ancient Egypt, (Cairo: Family Library, 2000),Vol 2.
•Salim Hassan, Encyclopedia of Ancient Egypt (Cairo: Arabic Words for Translation and Publishing, 2011), vol.10.
•Samira Al-Jarani Al-Saheli, Hatshepsut Trip to Puntland 1496 B.C., Citadel Magazine, Issue 9.
•Serge Soniron, Kahan ancient Egypt, translation: Zainab al-Kurdi, (Cairo: Egyptian General Authority for Books, 1975)

•Taqi al-Dabbagh, Ancient Religious Thought, (Baghdad: House of Cultural Affairs, 1995)
•The two heirs, Jacques Vande, Egypt, translated by Abdel Moneim Abu Bakr, (Cairo: N.D)

Religious leaders and provincial governors aspired to the throne in Egypt until the end of the Sixth Dynasty 3200 - 2280 BC. M

Khamaile Shakir Abu Khud
Al-Mustansiriyah University / Faculty of Basic Education - Department of History
Kh_dream2011@hotmaile.com
Mobile: 07717591956

abstract

The political system in Egypt, which is nearly 3000 years old, has gone through difficult political stages ranging from the power of the central state, which was the dominant feature of the kingship from the first dynasty to the fourth dynasty, but this did not last long. Difficult historical changes since the end of the Fourth Dynasty, and reflected on the political system of government, lost their central state after the thorns of priests and governors of the provinces.

This paper traces the political circumstances that contributed to the undermining of this system.

Keywords: Ancient Egypt, priests, provincial governors, Religious men.